مجلة الرائد

العدد : ٢٣٣ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٢ هجري ٢٠٠٢/١ ميلادي

عنوان المقال : من حديث القلب والفكر	الكاتب : الأستاذ عصام العطار

أنا الآن في السابعة والسبعين من العمر ، وماذا يستطيع ابنُ سابعةٍ وسبعينَ أثقَلَتْ كاهلَه الشُّجونُ والسّنون ؟! ولكنْ عليَّ وعلى أمثالي أن نتابع السير في طريق الواجب - ولَوْ حَبْواً - إلى أن نعجز تماماً عن الحراك ؛ فيا أيها الشباب اغتنموا شبابَكم قبلَ أن يَرحَل الشباب ، ويا أيّها الكهول اغتنموا كهولتكم قبل الشيخوخة والهرم ، ويا أيها الشباب والكهول والشيوخ اغتنموا حياتَكم قبلَ أن تَتَصَرَّمَ الحياة ، وقبلَ أن يَدْهَمَ الموت ، وما أسرعَ ما تتصرّمُ الحياةُ ، ويدهمُ الموتُ ، ويَصيرُ كلٌّ إلى ربّه عزَّ وجلَّ

{ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } [آل عمران : ٣٠]

{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران : ١٨٥]

هل يستطيع الإنسان حتّى في شيخوخته وضعفه أن يتجاوز نفسه صُعُداً إلى فوْق ، وتقدُّماً إلى أمام ، ونهوضاً أفضلَ وأكملَ بالتبعات والواجبات ؟

لا أدري ، ولكنْ عليه أن يحاول ذلك ما استطاع، وإذا فاته حظُّ القدرة والنجاح ، فلن يفوته شرفُ المحاولة والكفاح ، ومرضاةُ اللّه وثوابه عزَّ وجلَّ

غابَ أحبابي وما غابوا : مَنْ غيَّبَهُمُ الموتُ أو غيّبَهُمُ البُعْد ؛ ففي قلبي حُبُّهم ، وفي عَيْنَيَّ صُوَرُهم ، وفي دموعي أثَرٌ ممّا في القلبِ والعَيْنَيْن

غاب أحبابي وما غابوا : وفي طليعةِ من غيّبهمُ الموتُ عَنّي أبي و « بنان »

وفي طليعةِ من غيَّبَهُمُ البعدُ عَنّي : أُمّي التي ذَوَّبَها - حقيقةً لا مجازاً - الشوق ، وأطالَ حياتَها وآلامَها أمَلُ اللقاء .. ولا لِقَاء !

ما أصعبَ غيابَ الأحبابِ والشوقَ إلى الأحباب ! ولكن علينا أن نتابع طريقَ الحياةِ والحقِّ والواجب ولو غاب عنّا في هذه الدنيا كلُّ حبيب

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٣ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٢ هجري ٢٠٠٢/١ ميلادي

عنوان المقال : من حديث القلب والفكر	الكاتب : الأستاذ عصام العطار

وَأَدْمُعُ الأُمِّ يا لَلأُمِّ هَلْ تَرَكَتْ لها دُمُوعاً وَأَجْفَاناً عَوَادِينَا [1]
إنْ أَسْعَدَ الدَّمْعُ [2] فاضَ الدَّمْعُ مُنْهَمِراً أوْ غاضَ مَدْمَعُها فالقَلْبُ يَبْكِينا
جُرْحٌ مِنَ البُعْدِ يا أمّاهُ قَرَّحَهُ مَرُّ السِّنينَ وَلَمْ يَلْقَ المُدَاوِينا
جُرْحٌ حَمَلْنا كِلانَا في جَوَانِحِنَا يَكادُ في عَصَفَاتِ الشَّوْقِ يُرْدِينا
لَئِنْ جَزِعْنَا فَقَدْ أَوْدَى تَصَبُّرُنَا عَلَى الفِرَاقِ وَقَدْ أَعْيَا تَسَلِّينا
يا أُمِّ سَوْفَ يَعُودُ الشَّمْلُ مُجْتَمِعاً لا خَيَّبَ اللَّهُ في اللُّقْيا أَمَانِينا
فَإِنْ قَضَى اللَّهُ ألاّ نَلْتقي فَغَداً في ظِلِّ رَحْمَتِهِ يَحْلُو تَلاقِينا

منذ صِبايَ الأول وفلسطينُ جرحٌ في نفسي ، وتمرُّ بيَ الأيام ، وتتقدّم بيَ السنّ ، والجرحُ يَعْمُق ويعمُق ، ويتّسِع ويتّسِع ، وينزف وينزف

جرحٌ أُحِسُّه في قلبي
وأحسه في فكري
وأحسه في عقيدتي
وأحسه في كرامتي

وأحسه في إنسانيّتي ؛ فما يقع في فلسطين يتجاوز حدود الوطنيّة والأوطان ، والقومية والأقوام ، ويمسّ الإنسانَ من حيثُ هو إنسان ، ومُثُلَه العليا في الحقّ والعدل والخير والجمال ، ويَصِمُ الإنسانية كلَّها ، ويهبط بها إلى قَرار ما بعدَه قرار ، ولا يمكن أن يقبله أو يحتمله أحدٌ له حقيقةُ الإنسان وضميرُ الإنسان وشعورُ الإنسان

ليسو بشراً من يدوسون الحق والعدالة والإنسانَ وحقوقه الأولية المشروعة

ليسو بشراً من يرتكبون هذه الجرائم الظالمة المروّعة المفزعة

ليسو بشراً من يساعدون على ارتكاب هذه الجرائم

ليسو بشراً من يسكتون عن هذه الجرائم وهم قادرون على منعها أو فضحها

يا إلهي ! كيف تَرْتَكِس الإنسانيةُ إلى هذا الحدّ ، وكيف تهوي إلى مثل هذا الحضيض ؟!

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٣ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٢ هجري ٢٠٠٢/١ ميلادي

عنوان المقال : من حديث القلب والفكر	الكاتب : الأستاذ عصام العطار

في أعماقنا كنوز دفينة ثمينة لا نعرف قيمتَها وأثرها ، ولا نُحْسِنُ الإفادة والاستفادة منها ؛ ومن أعظم هذه الكنوز : كنزُ الحبّ ؛ فبالحبّ تصفوا وتسمو وتغتني أنفسُنا ، وبالحبّ نُسْعِدُ أمهاتنا وآباءنا ، وأزواجنا وأبناءنا ، وأصدقاءنا وأصحابنا ، وسائر الناس ، ونَسْعَدُ بالأمهات والآباء ، والزوجات والأبناء ، والأصحاب والأصدقاء وسائر الناس ؛ وبالحبّ يتوادُّ ويتراحمُ ويتعاطفُ ويترابطُ ويتعاونُ ويَزْكُو مجتمعُنا ، ويَسْلَمُ ويَطمئِنُّ مهما عصفتْ حَوْلَ واحَتِهِ العواصف ، وحَفَل به العالَمُ من الأنْواء والبلاء ؛ وبالحبِّ - حبِّ اللَّهِ وحبِّ عبادِ اللَّهِ - يحبّنا اللَّه ، وننال من رحمته ورضاه وعطاياه في الدنيا والآخرة ما نتمنّاه ، فإذا غاب عن أنفسنا وحياتنا ، وأُسَرِنا ومجتمعاتنا الحبُّ ، غاب عنها السعادةُ والخير ، ولم يعوضه شيءٌ سواه في هذه الدنيا

عندما تأوي إلى بيتك بعد عمل النهار هل تفكّر بالذين ليس لهم بيت يُؤويهم إذا أَجَنّهُمُ الظلام ؟

وعندما تشعر بِدِفْء البيت في برد الشتاءِ هل تفكّر في الذين يعيشون في العراء ، أو لا يجدون في بيوتهم الفقيرة البائسة الدِّفْءَ في صقيع الشتاء ؟

وعندما تأكلُ وتشربُ فتشبعُ مِنْ جوع ، وتَرْتَوي مِنْ ظَمَأ ، وتستريحُ من تعب .. هل تفكّر في أولئك الذين يجوعون ولا يجدون الطعام ، ويظمأون ولا يجدون الماء الصالح للشرب ، ويتعبون ويتعبون ولا يجدون سبيلاً إلى راحة جسم أو فكر ؟

وعندما تَنْعَمُ بأهلِك وَوَلَدِك هل تفكر بمَنْ حُبِسُوا أو شُرِّدوا عن الأهل والولد ؟

وعندما تذوق حلاوة الأمن هل تفكّر بمن يتجرّعون مرارة الخوف ؟

وإذا اسْتَرْوَحْتَ في نفسِك وأهلِك في يوم من الأيام أو بلد من البلدان نَسيمَ العدل هل تفكّر فيمن يعيشون في جحيم الظلم ، أو تعصف بهم سَمَائِمُهُ (٣) المحرقة ، وهل تحسّ بإحساسهم ، وتشاركهم بعض المشاركة الوجدانية في معاناتهم وآلامهم ، وتسعى مخلصاً لمساعدتهم ومساعدة أمثالهم من المظلومين والمحرومين والمعذبين ؟

إن كان ذلك كذلك ، فأنت إنسانٌ بالفعل لا بمجرّد الشكل ، وأنت تَتَصِّف حَقّاً ببعض صفات

الإيمان والإسلام

من الذي يُدرك في الدنيا غايَته ، ويشفي منها غُلَّتَهُ ، ويَسْلَم فيها من نفسه ومن غيره ، ومن تصاريف القدر ؟!

سَرابٌ بَعْدَ سرابٍ يُغْرَى الإنسانُ بهِ ، ويركضُ الإنسان خَلْفَه ، ثمّ لا يصل أخيراً أخيراً إلاّ إلى الموت والقبر ، وما بعد ذلك من حسابٍ وثواب وعِقاب .. { ... فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ } [لقمان : ٣٣]

استمتعْ بدنياك وأنت تعرف زوالَها ، وتذوّقْ بالحلال زينتها ونعيمَها وجمالَها { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ... } [الأعراف : ٣٢] ولكنْ لا تنسَ أبداً أنّك لم تُخْلَقْ عَبَثاً ، ولن تُتْرَكَ سُدىً ، وأنّ دنياك هي مزرعةُ آخرتك ، وسبيلُك بطاعتك أو معصيتك إلى جنّة أو إلى نار.

قال لي صديق قديم غاب عن ميدان الفعل والتأثير :

- لا تلمني فكلّ ما حولي يثبّط العزائم والهمم ويَلْفُّني باليأس والإحباط ، فأين أجد الحافز للحركة والعمل

قلت للصديق القديم :

- إن لم تجد هذا الحافز في نفسك فلن تجده في مكان آخر

حوافزُنا في هذه الأيام العصيبة وفي سائر أيام الحياة يجب أن تنبثق بالدرجة الأولى من أنفسنا : من إيماننا بربنا ، وولائنا لديننا وقيمنا ، ومحبَّتنا للإنسانية والإنسان ، وشعورنا بمسؤوليتنا عن الإنسانية والإنسان

يجب أن تنبع حوافزنا من داخلنا .. من أعماق قلوبنا ، وأن تفيض عنا ، كما تفيض مياه الينابيع المنعشة المحيية ، على ما حولَنا ومن حولنا ، فتحيا بنا قلوبٌ أخرى أماتها اليأس والإحباط ، وتُولَد بنا

حوافز جديدة وآمال جديدة لنا ولمجتمعاتنا وللإنسان حيثما كان ، وإلاّ فإننا نكون قد خُنّا الأمانة والرسالة ولم يبق لوجودنا أيُّ معنى

هيّا بنا أيها الصديق القديم هيّا ، فالروّادُ الأُصَلاء تحيا بهم مجتمعاتهم ولا يموتون لموت هذه المجتمعات

۞ قال رسول اللّه ﷺ : « إنْ قامتِ الساعةُ (٤) وفي يدِ أحَدِكُمْ فَسيلَةٌ (٥) ، فإنِ استطاعَ ألاّ تقومَ حتّى يَغْرِسَها فَلْيَغْرِسْها »

والساعةُ لم تَقُم بَعْدُ ، وفي أيدينا ألفُ فَسيلةٍ وفسيلة ، فعلينا أن نغرسها مهما كانت الظروف ، فلعلّها تحيا وتنمو ، ولعلّ الإنسانية كلّها تَنْعَمُ في مُقْبِلات أيامها بما قد يكون لهذه الفسائل من ثمار وظِلال

۞ كلّما نزل بالمسلمين خَطْبٌ عظيم فظنوا أنّه أعظم ما يمكن أن ينزل بهم في عالمهم وعصرهم ، نزلت بهم خطوبٌ أخرى أعظمُ وآلم ؛ فيا ليتهم يُحِسّون ويعون أنّ الأدهى والأمرّ من المأسي لم يحصل بعد ، وأنه يكمن لهم - إن لم يغيّروا ما بأنفسهم - في أحشاء المستقبل

۞ على مسارح العالم العربيّ والإسلاميّ تجتمع التراجيديا والكوميديا في مشهد واحد « وشرّ البليّة ما يضحك » ، فأعداءُ العرب والمسلمين الكبار يحاربون المسلمين بالمسلمين ، ويذبحون المسلمين بالمسلمين ، ويَقْهَرون المسلمين بالمسلمين ، وينفقون على معاركهم لإخضاع المسلمين وسلبهم ونهبهم وإذلالهم .. من جيوب المسلمين !!

إنني أبكي كثيراً وأنا أشهد المآسيَ والملاهيَ تتعانق وتمتزج على مسارح العالم العربيّ والإسلاميّ ، ولو كنت مراقباً غريباً لضحكت أيضاً ؛ ولكنني واثق بأن التاريخ سيبكي علينا كثيراً ، ويضحك علينا ويسخر منا كثيراً .. ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه

لماذا تبحث يا أخي عن منقذ أو قائد مقتدر خارجَ نفسك على الدوام ، ولا تبحث عنه في أعماق نفسك ، فلعلّك أنت هو إذا أخلصتَ لربّك ودينك ، وعرفتَ استعدادَاتك ومواهبَك ، ورفعتَ نفسَك من خلال العلم والثقافة والفكر ، والحماسة والإرادة والجهد ، إلى مستوى إسلامك ومهمتك وعصرك ، وحاجات الإسلام والمسلمين والإنسانية والإنسان في هذا العالم والعصر

لا أدري لماذا ترتبط أحلامُ المسلمين وتطلُّعاتُهم بقائد فَرْد يهبط عليهم من فوق ، فتتبدّل به الأمور ، وتتحققُ به الآمال ؛ والتغييرُ المنشود في عالمنا وعصرنا وظروفنا يحتاج ألوفاً من القادة المؤهّلين في مختلف الميادين .. الذين يصعدون من تحت ، ويأخذون أمكنتهم المتدرجة المتنوعة المتكاملة في القيادة من خلال الكفاءة والعمل والإنجاز ، وما يكتسبونه من المحبة والثقة والتقدير

لقد كشفت الشهور الماضية من حقائق النفوس والأخلاق ، والعالم والعصر ، ما تقشعرّ لهوله الأبدان ، ويَخْزى به الإنسان ، ويُظْلِمُ به وجهُ الحياة ؛ ولكن علينا رغم ذلك كلّه ألاّ نيأس ، ولا نستسلم ، ولا نقعد عن العمل ؛ فرسالتنا أن نعمل ونعمل - رغم كل شيء - لينتصر الحقّ والعدل والخير في نفوس الناس ، وفي علاقات بعضهم ببعض ، على الصعيد المحليّ والدوليّ وعلى كلّ صعيد ، فذلك شرف الدنيا والآخرة ، وخير الدنيا والآخرة

إننا بحاجة إلى روح الأنبياء ، وصبر الأنبياء ، وإرادة الأنبياء ، وتجرّد الأنبياء ، وسماحة الأنبياء ... لنواجه تحدّيات عالمنا وعصرنا على كل صعيد ، ونتابع فيه طريق الحقّ والهداية والخير ..

يا لهُ مِن مطلب عسير عزيز ! ولكن لماذا لا يكون لنا في أنبياء اللّه عليهم السلام وفي نبينا ﷺ الأسوةُ الحسنة ؟

مجلة الرائد

العدد : ٢٣٣ الموافق في ذو القعدة ١٤٢٢ هجري ١/٢٠٠٢ ميلادي

عنوان المقال : من حديث القلب والفكر	الكاتب : الأستاذ عصام العطار

۞ يخطر لي عندما أكتب في بعض الأحيان هذا السؤال:

هل أخُطُّ كلماتي في قلوب وعقول أم أخطُّها على رمال ؛ وما أضيعَ الكلمات التي تُخَطُّ على الرمال ، وحياةَ الكاتب الذي يَخُطُّ على الرمال

۞ أين القلوب التي تجد لَذّتَها في طلب الحقّ ، ومكسبَها في خدمة الحقّ ، وشرفَها في موالاة الحقِّ عندما يُعْرِض عنه الناس ، ولو تركتْ لذلك الدنيا

الهوامش :

(١) عوادينا : مَصائب الدهر النازلة بنا.

(٢) أسعد الدمع : أعانَ على البكاء.

(٣) السمائم مفردُها : السَّمُوم : وهي الريح الحارة ، والسموم أيضاً : الحرّ الشديد النافذ في المُسامّ.

(٤) الساعة : يوم القيامة .

(٥) الفسيلة : جزء من النبات يفصل عنه ويغرس.